

مجلة المجاهد

علقت مجلة المجاهد الجزائرية (عدد 381 عام 1967) على استفتائنا حول اللغة العربية في
المقال التالي :

نشر المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع للجامعة العربية نتائج استفتاء علمي حول اللغة العربية
على جانب عظيم من الاهمية ، وساتناول في حديثي بعض القضايا العامة المتعلقة بمبدأ تطويع
العربية مما كان محورا لاكثر المناقشات التي دارت هنا في الجزائر حول الموضوع ومما يمكن ان يكون
بمثابة مدخل ولو جزئيا للاستفتاء ونتائجه .

صيف السنة الماضية فقد القيت عدة محاضرات عمومية
وكتبت كثير من المقالات الصحفية طوال اسابيع
فضلا عن المناقشات والتعليقات الشفوية ،
وكان كل هذا « النشاط الفجائي » مكرسا للرد على
دعوة كانت قد عرضت لتطوير اللغة العربية ، وكانت
وجهة الردود كلها او جلها معارضة للدعوة .

ولست اكتب هذه الكلمة لاعيد ما قيل في اوانه
من ردود على تلك الردود ولكني اود ان اتف عند رد
واحد فقط يبدو انه اعقلها وانه صادر عن بعض
« التخوفات الطيبة » وهو الرد الذي يعارض اثاره
قضايا تطوير العربية في الجزائر ، لا لانه ضد التطور
نفسه ولكن لان الدعوة اليه في بلد ما زال في اول عهده
بالاستقلال ولم يتشبت بعد بلغته القومية في مختلف
الميادين ، امر قد يؤدي الى الضرر بالتعريب وعرقلته ،
ماهل الفرنسية من ذوي النوايا الحسنة سيخوفون
من المشاكل التي تعاني منها العربية ، وبذلك يعودون
الى ايثار الفرنسية ، واهل النوايا الرديئة منهم ،
سيجدون في الدعوة حجة ضد العربية واهلها والمنتجين
اليها ..

« لاعتقد ان هناك لغة ما يتفاهم به اهل الارض ،
غير قابلة للتطوير وبمنجاة عن المشاكل ، وذلك لسبب
بسيط هو انها كسائر ظواهر الحياة ناتجة عن عوامل
وظروف دائمة التغير وقد يكون حجم المشاكل التي
تعاني منها اللغة ، هو نفسه ، دليلا على مدى الحيوية ،
او التحرك الذي يسجله المجتمع المنتسب اليها . فاما
اذا علقت تيمية ضد التحرك تيمية ترسب ، او من
مصلحة طبقية محتكرة ، فانها تتجرد من صفة اللغة
الاساسية وتصبح علامة جمود وتفسخ تدمغ من ينتهي
اليها : تنتفي الصفة الاساسية لان التفاهم انما يتخذ
طابع التيار السيل وليس شكل القوالب المتصلبة
وتصبح دليل تفسخ ، لان هذا نتاج حتمي لانفلاق
اعضاء المجتمع بعضهم دون بعضهم .

ورغم ان ذلك في حكم البديهيات ، الا ان الذي
يتحدث مع مجموعة من المنتمين الى الثقافة العربية
يجد فيها من ينكر ارادة التطوير وصفة التغير .

وفي هذا الصدد ونحن امام استفتاء لتطوير اللغة
العربية ، لابد ان نتذكر ما جرى هنا في الجزائر في

والواقع ان هذه التخوفات لا أساس لها عند التدقيق كما انها تنم عن سلبية الاحتياطي الذي نعالج به مضايانا .

لا أساس لها لان كل لغة ، كما سبقت الإشارة ، تواجه مشاكل فلولوجية ربما بقدر ما يعاني مجتمعها من مضايا تطويرية ، مشاكل تختلف ولاشك في طبيعتها وفي مدى حدتها ولكنها على أية حال قائمة ، والحاجة والظروف هي التي تحدد بعد ذلك نوع المشكل ومداها، فقد يتخذ طابع التنظيم وقد يتخذ طابع التغيير وقد يقتصر على البحث النظري الذي قد تستغل من بعد معطياته في تطبيقات معينة ، وفي اللغة الفرنسية نفسها فقهاء وتربويون يسهرون على تشذيبها وتنظيمها .

هذا أولا ، وثانيا يجب ألا نفهم ان الاخذ بالتعريب عندنا هو امر خاضع للمساومة ، لموافقة فريق ما وتفضله بل يجب ان لا نفهم انه مجرد اختيار قد تم وكان في الامكان ان يتم غيره ، كلا ان التعريب فوق المساومة وفوق الاختيار بل انه مقوم وطني لا بديل عنه الا بالغاء جانب من وجودنا . ومعنى ذلك انه يجب ان يتم بموافقة فريق ما او بخالفته وان يتم سواء اثار مشاكل أم لم يثر . وما معنى النصوص الدستورية المتعلقة بذلك ، اذن ؟ ما معناها اذا كانت الارادة الوطنية العامة مرهونة بارادات جزئية خاصة !

ستقول ان هذه مسائل نظرية بحث وان التعريب في امكانه ان يظل في الدستور دون ان يتحقق في الواقع، ان لم يؤمن به المشرفون على الاجهزة التنفيذية ، او ان وجد من يثير صعوبات العربية وتطويرها .

فأما ان ذلك أمر نظري فهو صحيح ولكن يبدو ان تفهمه من جانب المنتهين الى العربية أنفسهم ، شيء ضروري ، لاننا كثيرا ما نتصرف في القضية بثقة ضئيلة وسطحية ، كما لو كان التعريب مجرد منحة اعطيت لنا .. واما ان اثاره صعوبات العربية والدعوة الى تطويرها أمر قد يساعد على العرقلية فهو اعتقاد مخطيء تماما ، فاذا وجد المعرقلون فان عملهم لن يتوقف على صعوبات العربية ، وطالما كانت نواياهم سيئة فانهم سيعثرون على ألف تعلقة أخرى .

والحقيقة انه هنا تكمن اغلوطة كبرى يستخدمها هؤلاء عارفين حقيقتها ويقع في حبالها ناس طيبو النية، ذلك ان الدعوة الى تطوير العربية انها تنطلق من الصعوبات الى الحل والتمسير وليس الى الإبقاء على هذه الصعوبات ، فكل تغيير كما هو بديهي يفترض من

حيث الزمان حاضرا ومستقبلا ، الاول يشكل اطار الواقع الذي يراد تغييره والثاني يكون اطار الصورة المنشودة لهذا الواقع ، ووجه الاغلوطة انها تلفسي الصورة المنشودة في المستقبل وتضيف زمانها الى الواقع الحاضر ، وبذلك يمتد هذا عبر ديمومة مصطنعة وتصبح الصورة تجريدا لا بعد له ، ومن ثمة لا امكانية لتصور تحقيقها .

فاذا كان منطلق الدعوة الى التطوير ، انما يتجه من المشاكل القائمة الى حلها بموازاة بين التغيير وابعاده الزمنية ، فانه لا مجال اذن للتخوف على سير التعريب ، بل ان العكس عند التدقيق هو الصحيح ، فبصرف النظر عن مبدا التعريب كمقوم وطني ويند في الدستور ، فان حل مشاكل العربية هو الذي يساعد على انجاحه وفي نفس الوقت على فعاليته ، وليس الإبقاء على هذه المشاكل .

يساعد على انجاح التعريب الآن من مواضيع التطوير تيسير وتبسيط اللغة وتقريبها الى التداول ، فالتاموس الذي يحوي عشرات الآلاف من الكلمات المهجورة والمترادفة يصبح محصورا في نسبة جد منخفضة ، والقواعد الكثيرة والتي لا تؤدي وظيفة مبررة يقع الاستغناء عنها ، وهكذا يقال في المباحكات البلاغية والتنظعات الاملائية .. وبذلك ينخفض الجهد اللازم لتعليم العربية على المستويين النفسي والزمني معا ، بفتح امكانيات واسعة امام التعريب السريع .

والميزة الاخرى التي يتيحها التطوير هي كما اشرت الفعالية ، ذلك بأنه يمكن ان نتعلم بعد جهد طويل كل تلك الشكليات الفارغة ، ولكن دون ان نجد لها مجالا للنفع والاستغلال . لانه بقدر ما تزداد هذه القشور بقدر ما تزداد ممانعتها للاستعمال الحيوي والتواصل الاجتماعي .

وعلى العكس من ذلك سيقبح التطور ، لا ، تسهيلات على الطلاب فحسب ، بل ومساعدة على الاشباع داخل المجتمع ومرونة في التعبير عن متطلباته الحيوية .

وهكذا يتبين انه لا اساس لتلك التخوفات المشار اليها بل انها في غير محلها وكان ينبغي ان تجسد موضوعها في الوضع اللغوي القائم وليس في الدعوة الى اصلاحه .

أما ما تنم عنه التخوفات من سلبية فهي تتمثل في الاستسلام تجاه الاغلوطة التي يستخدمها معارضو

العربية وانصار العربية الواقعون في حبالها ، فبدل القيام بمجهود للتوضيح والتصحيح يكشف الاغلوطة نزارع الى تشذيب الدعوة التي وقعت ضحية لها ، فنحن اشبه بمن يمنع الدواء عن مريضه خشية ان يكتشف الجيران المرض او خشية ان ينتج عن تعاطي العلاج صراخ يقلق حساسيتهم !

وفي تقديري انه لا وطن عربيا اصلح من الجزائر نفسها ، لبدء اصلاح العربية ، وذلك - فضلا عن الاسباب العامة المتقدمة - لانها اشد البلاد العربية تخلفا في هذا الميدان ، ولان التدارك يقتضي اجراء لا يديل عنه هو التسهيل ، ومن ثمة خفض الزمن اللازم حسب المنهاج التقليدي .

واكثر من ذلك ان ضعف « القاعدة اللغوية » عندنا واقصد عدم تغلغل العربية وقللة الاطارات والمؤسسات المعنية بها معناه خفة العبء الذي سيواجهنا في عملية التطوير ، فالشروع هنا يكون مباشرا في حين انه في الاقطار الاخرى سيجد اصطداما بالقاعدة العريضة الراسخة والمتكئة في كثير من

الاجهزة اللغوية والافراد الذين تعلموا على الطريقة التقليدية .. مما يستدعي قبل الشروع في الاصلاح او معه عملية « تطهيرية » .

والخلاصة ان معارضة الاصلاح في الجزائر - بالاستناد الى واقع الجزائر هي حجة وان كانت تبدو مغرية الا انها عند التدقيق معكوسة تماما .

اما بقية الحجج التي اطلقت بها في الردود المشار اليها في اوائل الكلمة ، والملخصة كلها في الادعاء بان اصلاح العربية قضية ميتة تغلب عليها الزمن ، فقد نوقشت في اوانها بالتفصيل ، ويكفي ان نشير اليوم الى هذا الاستفتاء الذي اجري حديثا حول اللغة العربية

فهل نحن على استعداد لتصحيح تلك التخوفات؟ وهل نحن على استعداد للتسليم بان موضوع اصلاح العربية موضوع حيوي ؟

بل وهذا جوهر القضية ، هل نحن على استعداد لتحقيق الاصلاح ؟

